سلسلة الدراسات التوثيقية (50)

مقالات في الذكرى 140 لوفاة

الإمام المهدي



عبد الله علي إبراهيم

محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

محمد المصطفى موسى

الطبعة الأولى 2025م

سلسلة الدراسات التوثيقية (50)

مقالات في الذكرى 140 لوفاة
الإمام المهدي

أ.د. عبد الله علي إبراهيم
د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي
د. محمد المصطفى موسى

الطبعة الأولى
2025م

مقالات في الذكرى 140 لوفاة

الإمام المهدي

أ.د. عبد الله علي إبراهيم

د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

د. محمد المصطفى موسى

الإيداع القانوني

......./2025م



دار آريثيريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان

جوال: 121566207 - 00249122094856

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2025م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

(سورة العصر)

المحتويات

الفصل الأول
140 عاماً على وفاة الإمام المهدي

القيادة التغييرية
دراسة تحليلية في ضوء المقدرات الذاتية
للإمام المهدي
«الوعي والتأثير»
1881-1885م

الفصل الأول

140 عاماً على وفاة الإمام المهدي

القيادة التغييرية

دراسة تحليلية في ضوء المقدرات الذاتية

للإمام المهدي

«الوعي والتأثير»

1881-1885م

د. محمد الواثق عبد الحميد الجريفاوي

تمهيد:

دائماً ما أبدأ مساهماتي في أي موضوع مرتبط بالتاريخ بأن القصد من دراسة التجارب الإنسانية عبر التاريخ ليس إعادة إنتاجها، كما أن إسقاط المفاهيم الحديثة والمعاصرة على وقائع الماضي لا ينبغي أن يكون بغرض محاكمتها أو اختبار صلاحيتها. **وإنما تكمن القيمة الحقيقية لهذه العملية في استحضار الماضي برؤى جديدة تُسهم في تعميق الفهم وتوسيع آفاق التحليل. فالتاريخ، حين يُقرأ بوعي، يُمثل قاعدة صلبة للانطلاق نحو مستقبل أفضل. أما إذا تم التعامل معه بمعزل عن الحاضر والمستقبل، فإنه يتحول إلى ترف فكري لا طائل من ورائه.**

إضافة إلى أننا لسنا مطالبين بإعادة إنتاج التجارب الإنسانية كما وقعت، ولا من الإنصاف أن نحاكم حوادث التاريخ بمفاهيم العصر الحديث. إنما الغاية من النظر إلى الماضي هي أن نمنحه فرصة أن يُضيء لنا الطريق، **أن نستحضره بعين جديدة وبعقل مفتوح. فإذا لم نَسند ظهورنا إلى التاريخ، ونقف على أرض الوعي بما كان، فلن نستطيع أن نخطو**

بثقة نحو ما سيكون. وآنذاك، تصبح دراسة التاريخ مجرد رفاهية ذهنية، لا تصنع واقعًا ولا تبني مستقبلاً.

في عالم اليوم المتغير بسرعة، تبرز أهمية **نماذج القيادة التي تعي وتركز على التغيير** الجذري والتحول البنّاء، القيادة التغييرية (Transfor-mational Leadership) تمثل إطارًا فكريًا حديثًا يسلط الضوء على كيفية **إحداث تأثير عميق ومستدام في الأفراد والمؤسسات والمجتمعات.**

عند الحديث عن تاريخ السودان، لا يمكن تجاوز سيرة الإمام المهدي، **ليس فقط كشخصية دينية مؤثرة**، بل **كقائد (تغييري) قاد تحولًا كبيرًا** في وعي المجتمع السوداني في أواخر القرن التاسع عشر.

دراسة سيرته تتيح لنا فهم كيف نشأت المهدية كحركة مقاومة دينية وسياسية ضد الاستعمار، وكيف أصبحت دولة تواجه تحديات الحكم، التنوع، والتغيير. ومن خلال هذا الفهم، يمكننا قراءة ملامح الهوية السودانية الحديثة بشكل أعمق.

كما أن سيرة الإمام محمد أحمد المهدي (1844–1885) تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم واحدة من أكثر الحقب تحوّلًا وتأثيرًا في تاريخ السودان الحديث، وهي **حقبة الدولة المهدية (1885–1898)** ، إن **دراسة سيرة الإمام المهدي ليست مجرد استرجاع لحياة شخصية دينية أو سياسية بارزة، بل هي نافذة لفهم ديناميات التغيير الاجتماعي والديني والسياسي في السودان في أواخر القرن التاسع عشر.**

القيادة التغييرية في ضوء تجربة الإمام محمد أحمد المهدي

إن ربط مفهوم القيادة التغييرية بتجربة الإمام المهدي يوفر إطارًا غنيًا لدراسة القيادة في السياقات التاريخية، ويُثري فهمنا **لكيفية قيادة التغيير في المجتمعات ذات التنوع الثقافي والاجتماعي**. كما يفتح المجال **لإعادة التفكير في كيفية توظيف الإرث التاريخي في تطوير نماذج قيادية معاصرة.**

على الرغم من حداثة هذا المفهوم، نجد في التاريخ نماذج قديمة جسدت معاني القيادة التغييرية، من أبرزها تجربة الإمام محمد أحمد المهدي، الذي قاد ثورة ناجحة في السودان في القرن التاسع عشر.

تهدف هذه المقالة إلى **قراءة شخصية الإمام المهدي من منظور نظريات القيادة التغييرية**، وتسليط الضوء على الكيفية التي أثرت بها مقدراته القيادية في إشعال الثورة، وتوجيهها، وتحقيق أهدافها في مواجهة نظام استعماري متجذر. أنطلاقاً من أن سيرة الإمام المهدي تُعد **نموذجًا حيًّا لفاعلية القيادة التغييرية في سياق مضطرب**، حيث استطاعت شخصية واحدة ذات مقدرات استثنائية أن تعيد تشكيل وعي جمعي، وتؤسس مشروعًا تحرريًا واسع الأثر.

إن قراءة سيرة الإمام المهدي في ضوء نظريات القيادة الحديثة لا تسهم فقط في فهم نجاح الثورة المهدية، **بل تفتح الباب لفهم أعمق لدور القادة الملهمين في إحداث التحولات الجذرية في مجتمعاتهم، خصوصًا في البيئات التي تفتقر إلى المؤسسات الحديثة وتعتمد بشكل كبير على القيادة الشخصية.**

في هذا المقال، أحاول أن أستعرض **مفهوم القيادة التغييرية، ثم أبرز كيف تجسدت ملامحها في قيادة الإمام المهدي، مستعرضاً أهم الأبعاد التي جعلت من قيادته نموذجًا فريدًا للتغيير.**

مفهوم القيادة التغييرية:

القيادة التغييرية تعني القدرة على إحداث تغيير جذري في الأفكار والقيم والسلوكيات لدى الأفراد، وتحفيزهم نحو تحقيق رؤية مستقبلية طموحة. القائد التغييري لا يكتفي بإدارة الواقع الحالي، بل يعمل على تطويره وتحويله، مستخدمًا الإلهام، والتحفيز الفكري، والاعتبار الفردي لتحقيق أهداف تتجاوز المصلحة الذاتية إلى خدمة المجتمع ككل.

خصائص القيادة التغييرية:

تكمن خصائص القيادة التغييرية في العديد من النقاط ألخصها (وفق مقتضيات الطرح) في النقاط التالية:

1. **الرؤية الواضحة:** وجود تصور مستقبلي ملهم.
2. **التحفيز والإلهام:** القدرة على دفع الأفراد نحو التغيير بإيمان وحماس.
3. **التحفيز الفكري:** تشجيع التفكير النقدي والإبداع.
4. **الاعتبار الفردي:** فهم ودعم الاحتياجات الفردية لأعضاء الفريق.

ويمكننا اسقاط تلك الخصائص على الإمام المهدي باعتباره نموذجًا للقيادة التغييرية على النحو التالي:

أولا: الرؤية الاستراتيجية والإصلاحية:

كانت رؤية الإمام المهدي تتجاوز مجرد الاستقلال السياسي؛ فقد أراد بناء دولة جديدة قائمة على قيم الإسلام والعدل الاجتماعي. رؤيته تضمنت توحيد السودان وإعادة تشكيل الولاءات من الانتماءات القبلية إلى الولاء للدعوة المهدية، وهي رؤية تنموية شاملة هدفها إحداث تغيير جذري في البنية الاجتماعية والسياسية.

ثانياً: الإلهام والتحفيز:

نجح الإمام المهدي في جمع قوى متعددة ومتنوعة خلف مشروعه، مستندًا إلى رمز المهدية الذي كان يشكل قوة روحية معنوية، وجعل من الثورة فعلًا جماهيريًا مؤمنًا بهدفه، مما منح الثورة قوة دافعة هائلة.

ثالثاً: التحفيز العقلي والروحي:

قدم الإمام المهدي خطابًا دينيا واجتماعيا جديدا، يحرر الناس من التبعية والجمود، ويشجعهم على المشاركة الفاعلة في صنع مستقبلهم.

هــذا الخطــاب كان ســببًا رئيســيًا في التحــول العقــلي الــذي حــدث في المجتمــع الســوداني.

رابعاً: الاعتبار الفردي والعدالة

عــلى الرغــم مــن مركزيــة الســلطة في الدولــة المهديــة، فقــد اعتمــد المهــدي عــلى اختيــار القــادة والأفــراد الذيــن يظهــرون الــولاء والكفــاءة، متجــاوزًا الــولاءات القبليــة الضيقــة، ممــا ســاعد عــلى بنــاء نظــام أكثــر تكامــلاً وفعاليــة.

خامساً: الأثر والتأثير:

هذه الصفات جعلت من الثورة المهدية تجربة نجاح في إدارة التغيير، وأثرت بشكل كبير في تشكيل هوية وطنية جديدة، وقدمت نموذجًا قياديًا يمكن الاستفادة منه لفهم الديناميكيات الاجتماعية والسياسية اليوم.

تحدي معرفي: إشكالات دراسة سيرة الإمام المهدي:

وقبــل الخــوض في اســتعراض مظاهــر القيــادة التغيريــة للإمــام المهــدي ، ســأتطرق الى بعــض الإشــكالات المرتبطــة بتنــاول ســيرة الإمــام المهــدي ، حيــث تــبرز العديــد مــن الإشــكالات عنــد الخــوض في دراســة تاريــخ الثــورة المهديــة وبخاصــة ســيرة الامــام المهــدي، منهــا مــا هــو مرتبــط بالمنهــج ومنهــا مــا هــو متعلــق بالمصــادر :

أولا : إشكالات المنهج:

كثــير مــن الدراســات التــي تناولــت الثــورة المهديــة طرحــت أفكارهــا بمنهــج تاريخــي توثيقــي، دون أن تذهــب إلى تقديــم دراســات شــاملة تســتصحب معهــا مجمــل العوامــل الموضوعيــة (مــن حيــث التأثــير والتأثــر) .

وحتــى تلــك التــي حاولــت الولــوج تحليــلاً في أســباب قيامهــا ونجاحهــا حــصرت العوامــل – مــع موضعيتهــا – في العنــف الــذي صاحــب الغــزو التركــي للســودان وبخاصــة انتقــام الدفــتردار لمقتــل إســماعيل ابــن محمــد عــلي حاكــم مــصر ، إلى جانــب الضرائــب الجائــرة وطريقــة جبايتهــا القهريــة ، وللعديــد مــن الممارســات المرتبطــة بالعقليــة الاســتعمارية التركيــة.

أما من جهة النجاح فقد ذهبت جل تلك الدراسات إلى أن العامل الرئيسي هو ضعف الإدارة التركية وفقدانها السيطرة على الأمور وتقليلها من شأن الثورة والتعامل معها في بداياتها.

على الرغم من أن تلك الدراسات تناولت المهدي بوصفه قائد الثورة في إطار التوثيق التاريخي للأحداث التي صاحبت الثورة وتلك المرتبطة بشخصه، **إلا أنها لم تفرد فصولاً لتناول مقدراته الذاتية في تحريك وقيادة الثورة واحتوائه لكل العوامل والظروف وإعادة إنتاجها بصورة تبرز قدراته الذاتية والشخصية وتفجيرها بما حقق له النجاحات الكبرى**

كما ان منهج الدراسات التي تناولت المهدي كانت: إما منهجاً هجومياً حاول نفي صفة المهدية عنه وبذلك تسقط كل دعواه وما أنبنى عليها، أو منهجاً دفاعياً حاول إثبات صفة المهدية عليه حتى تكون سنداً قوياً لنجاحاته. **ولكن كلا المنهجين أضرا بسيرة ذلك الرجل حيث انصرف الباحثون عن دراسة شخصية المهدي وركزوا جل اهتمامهم بالمهدية وأسانيدها وشروطها ومدى انطباقها على الرجل.**

وهناك إشكال اخر ارتبط بسيرة الرجل وهو **تحول الإمام المهدي من رمز وطني إلى رمز سياسي** - في السابق وفي الوقت الحاضر - حيث كان المهدي قائداً لثورة قامت ضد المستعمر ومصالح الجماعات المرتبطة بذلك الاستعمار ولهذا كان من الطبيعي قيام دعاية مضادة له جعلت منه مركزاً لهجوم العلماء واختلاف الناس عليه.

ثم صار رمزاً سياسياً لما (للتقسيمة الفطيرة) لما عرف (بأبناء البحر وأبناء الغرب) وفق الفرز الجهوي الضيق للصراع الداخلي الذي حدث بعد وفاته.

ثم صار المهدي رمزاً لطائفة الأنصار وحزب الأمة

وهذا الأمر كله صار خصماً على رصيد الرجل من اعتباره رمزاً وطنياً.

لذلك لا بد ان يكون منهج قراءة سيرة هذا الرجل ، لا من واقع تسلسل زمني كيفما درجت الدراسات التاريخية التي تتناول السير الذاتية ، بل من خلال نظرة موضوعية تحاول الربط المنطقي بين المقدمات والنتائج بتحليل علمي للأحداث ووضع كل منها تحت عنوان يكون مقدمة لنتيجة تاريخية حدثت .

ثانياً: إشكالات المصادر

قلة الدراسات، ذكر البروفيسور قاسم عثمان نور انه في عام 1981 في فترة الإعداد للاحتفال العالمي بالعيد المئوي للثورة المهدية بحث في مكتبة جامعة الخرطوم وجد أن هناك أربعون كتاباً تتناول سيرة غوردون ولم يجد كتاباً واحداً يتناول سيرة الإمام المهدي ([1]).

شفاهية المعلومات: ولعله من الإشكالات الكبيرة المرتبطة بالمصادر هي غياب مصادر لدراسة الإمام المهدي قبل الثورة، عدم وجود معلومات عن المهدي قبل مهديته، وجل ما تم جمعه فهو (محكي) .

وانعكس ذلك على كثير من الدراسات التي اعتمدت على مصادر الشفاهية والنقل والحكي الشعبي وهي بذلك تعد مصدر (مضطرب) في ظل تمجيد الامام المهدي من عامة الناس وسرد حكايات وخوارق عنه.

على الرغم من أن تلك الدراسات قد وثقت تلك الإفادات في حواشيها إلا أنها تظل مصدراً ثانوياً، وكما هو معلوم بالضرورة أن الاعتماد على المصادر الثانوية في الدراسات التاريخية يعتبر ضعفاً منهجياً يقدح في أصالتها. المصادر الاستخباراتية والحربية المكتوبة: الأشكال الاخر هو ذلك المرتبط بالوثائق التي غالبا ما كانت مكتوبة في شكل تقارير استخباراتية في ظل واقع حربي وعسكري، وكتابات عدائية.

---

(1) . في الفترة من عام 1964 – 1974 ، توجد 14 رسالة ماجستير ودكتوراة ، في الفترة من 1974 – 1981 ، أطروحة واحدة .

مظاهر القيادة التغييرية عند الإمام المهدي:

تُعـدّ الثـورة المهديـة في السـودان نموذجًـا تاريخيًـا فريـدًا للقيـادة التغييريـة في سـياق اسـتعماري واجتماعـي بالـغ التعقيـد. فقـد اسـتطاع الإمـام محمـد أحمـد المهـدي أن يمـارس دور القائـد التغيـيري بامتيـاز، إذ جمـع بـين الرؤيـة الواضحـة للتغيـير، والقـدرة عـلى إلهـام الأتبـاع، وتوظيـف الرمزيـة الدينيـة لإعـادة تشـكيل وعـي المجتمـع السـوداني وتحفيـزه نحـو مقاومـة الظلـم وبنـاء دولـة ذات مرجعيـة دينيـة.

لـم تكـن دعوتـه مجـرد خطـاب عقائـدي، بـل كانـت مشروعًـا تحوليًـا يسـتند إلى مقومـات شـخصية قياديـة عميقـة، مثـل الكاريزمـا، والالتـزام الأخلاقـي، والقـدرة عـلى اسـتشراف المسـتقبل، ممـا مكنـه مـن تجـاوز الانقسـامات القبليـة والاجتماعيـة، وبنـاء ولاء جماهـيري واسـع. وبهـذا المعنـى، فـإن سـيرة الإمـام المهـدي تفتـح مجـالًا واسـعًا لتحليـل آليـات القيـادة التغييريـة في بيئـة مـا قبـل الدولـة الحديثـة، حيـث وظّـف القائـد شـخصيته وأفـكاره في إحـداث تحـوّل جـذري في بنيـة السـلطة والمجتمـع.

أولا: المقدرات الذاتية للإمام المهدي:

بعـد إعـلان الإمـام محمـد احمـد المهـدي للمهديـة ووقـوع معركـة الجزيـرة أبـا وانتصـاره فيهـا أصبـح المهـدي قائـداً ذو مسـئولية (مزدوجـة) مهمـة (فكريـة) تتمثـل في الدفـاع عـن فكرتـه و(عسـكرية) تتمثـل في قيـادة مقاتلـين ضـد الحكومـة الاسـتعمارية. هنـا تجلـت عبقريـة القيـادة وظهـرت القـدرات الذاتيـة والشـخصية للمهـدي في التعامـل مـع المعطيـات الموضوعيـة المحيطـة وذلـك بقدرتـه فائقـة عـلى الربـط المنطقـي بـين الحقائـق عـلى سـاحة معركتـه الفكريـة والعسـكرية حولـه.

1. الكاريزما

كان محمـد أحمـد يتصـف بالعنـاد والتصميـم والاندفـاع الحمـاسي نحـو الأمـور التـي يتصـدى لهـا ويمـضي في الطريـق حتـى نهايتـه. وقـد اعـترف لـه أعـداؤه

بهـذه المسـألة، يقـول القـس أوهرولـدر الـذي سـجن عـشر سـنوات في زمـن الدولـة المهديـة عـن "المهـدي": "كان مظهـره الخارجـي قـوي الجاذبيـة، فقـد كان رجـلا قـوي البنيـة، سـحنته تميـل إلى السـواد، ويحمـل وجهـه دومـا ابتسـامة عذبـة، وأسـلوبه في الحـوار حلـو وسـلس".

ويـروي ونجـت باشـا -مديـر مخابـرات الجيـش المـصري- عـن قدراتـه الخطابيـة فيقـول: "إن الرجـال كانـوا يبكـون ويضربـون صدورهـم عند سـماع كلماتـه المؤثـرة، وحتـى رفاقـه مـن الصوفيـة لـم يخفـوا إعجابهـم بـه، وليـس في شـكله مـا يثـير إلا عندمـا يبـدأ الوعـظ، وعندهـا يـدرك المـرء القـوة الكامنـة فيـه التـي كانـت تدفـع النـاس لطاعتـه".

ويقـرر المـؤرخ السـوداني د. محمـد سـعيد القـدال ذلـك بقولـه: "لقـد توفـرت لمحمـد أحمـد صفـات متميـزة أهلتـه للقيـادة في مجتمـع السـودان في القـرن التاسـع عـشر، فهـو صـوفي زاهـد يحظـى بتقديـر النـاس ويهرعـون إليـه طلبا للغـوث والبركـة، وهـذه هـي الصفـات الأساسـية للقيـادة في ذلـك المجتمـع، ومكنتـه دراسـاته المتنوعـة مـن امتـلاك قـدرات علميـة ولغويـة واسـعة، ولـه جاذبيـة (كاريزمـا) يؤثـر بهـا تأثـيرا قويـا عـلى مـن حولـه، وتضافـرت كلهـا مـع نشـاطه العلمـي وقدراتـه الذهنيـة فرفعـت درجـات وعيـه الاجتماعـي ممـا قـاده إلى فكـرة المهـدي المنتظـر التـي كانـت تضـج بهـا جنبـات المجتمـع، ورأى نفسـه الشـخص المؤهـل لحمـل أمانتهـا .

2. المعرفة التامة بالسودان

تنقـل المهـدي قبـل الإعـلان عـن دعوتـه في كثـير مـن بـلاد السـودان، فقـد انتقل جنوبـاً مـع أسرتـه إلى الخرطـوم مـن أجـل التجـارة وصناعـة المراكـب، ثـم إلى أبـا ثـم تنقـل في باحثـاً عـن العلـم لـدى المشـايخ والطـرق الصوفيـة ثـم بعـد أن أصبـح مـن كبـار الشـيوخ في السـودان عهـد إليـه شـيخه بإعطـاء الطريقـة السـمانية ونشرهـا في البـلاد فجـاب البـلاد طولهـا بعرضهـا لهـذا الغـرض. هـذا الأمـر جعـل المهـدي يلـم تمامـاً بطبيعـة أرض معركتـه ويتعاطـى مـع تلـك الطبيعـة بقـدرة فائقـة.

3. الفهم العميق لأحوال السودانيين

نتيجــة طبيعيــة للمعرفــة التامــة بالســودان كان للمهــدي فهــم عميــق جــداً لأحــوال الســودانيين وهمومهــم ونفســياتهم ولعــل ذلــك وضــح في التكتيــكات السياســية التــي اتخذهــا المهــدي والطريقــة التــي اتبعهــا في تعاملــه مــع قــواده وجنــوده.

4. الاستراتيجية في التنظيم العسكري

اتخــذ المهــدي اســتراتيجية عســكرية رائعــة وفــق مراحــل الــصراع مــع الحكومة مســتهدياً في ذلــك بالســيرة النبويــة في الدعــوة الإســلامية فقهــاً وحركــةً. ويمكــن هنــا الإشــارة بصــورة سريعــة لتلــك التكتيــكات الإســتراتيجية:

أ- الدعوة السرية

ب- الهجرة اختيار منطقة جبال النوبة) العمق الإستراتيجي.)

ج- اختيار مكان المعركة أبا، شيكان

د- حرب العصابات. حملة هكس باشا

هـ- إدارة المعركــة. اســتخبارات المؤكــدة – سياســة الأرض المحروقــة – ردم الآبــار – الحرب النفســية

و- تكتيك الحصار والاستنزاف حصار الأبيض، حصار الخرطوم.

وهــذه الأمــور كانــت مقدمــات لنتائــج واضحــة وبينــة وثابتــة تاريخيــاً تتمثل في الانتصــارات الحربيــة المتعاقبــة للإمــام المهــدي التــي أحرزتهــا الثــورة المهدية.

ثانياً: وعي الامام المهدي بالقيادة التغييرية

المهــدي قــاد حركــة تغيــير كبــيرة جــدا بمعايــير ذلــك الوقــت اســتهدف بهــا الديــن والمجتمــع ونظــام الحكــم وفي هــذا الاتجــاه يمكــن أن تــبرز العديــد مــن الشــواهد:

1. الإيمان بعملية التغيير في حد ذاتها.

فالمهـدي تجـاوز مجتمعـه ولـم يقـدم نفسـه كجـزء مـن المجتمـع الـذي يعيشـه واقعـاً. بـل قـام بطـرح نفسـه كصـورة أو جـزء مـن المجتمـع الـذي يتصـوره ويرغـب فيـه لنفسـه ولأتباعـه.

كذلـك المهـدي منـذ صغـره كان يجنـح للتغيـير ويتضـح ذلـك في رفضـه للعمـل في مهنـة أسرتـه التـي كانـت تمتهـن صناعـة المراكـب، ونجـد انـه قـد تنقـل في العمـل في التجـارة والاحتطـاب كمـا روت العديـد مـن المصـادر.

كذلـك يظهـر حـب المهـدي للتغيـير تنقلـه بـين الشـيوخ لاكتسـاب العلـم، وقـد ظهـر ذلـك في تنقلـه في أجـزاء كثـيرة مـن السـودان ممـا اكسـبه معـارف متعـددة المصـادر ومكنتـه مـن معرفـة الكثـير مـن النـاس والتعـرف عـلى احـوال البـلاد، الأمـر الـذي سـاعده بصـورة كبـيرة في تكويـن تصوراتـه لإدارة التنـوع.

2. امتلاك أدوات التغيير:

المهـدي كان مؤمنـاً ايمانـاً كامـلاً بالتغيـير ومقتنعـاً بضرورتـه للإصـلاح. وكان المهـدي قائـداً حازمـاً وحاسـماً، وكانـت لـدى المهـدي القـدرة عـلى الإقنـاع والتأثـير في الآخريـن، ويمتلـك ثقافـة عاليـة جـداً ويجيـد الخطابـة، وكان قـدوة حسـنة، ويشـكل الربـط بـين القـول والفعـل حضـوراً طبيعيـاً في ممارسـته الحياتيـة اليوميـة. وكانـت لديـه معرفـة كبـيرة بالرجـال قدرهـم وقدراتهـم.

3. المهـدي قـدم نفسـه في اعـلى مراتـب الصوفيـة (المهديـة) وطـرح نفسـه قائـداً ملهمـا

المهـدي وضـع **تصـوره (الخـاص) للتغيـير** بمـا في ذلـك اصـلاح مؤسسـة الصوفيـة نفسـها، وقـد **حكـم عـلى كل المجتمـع بنـاء عـلى تلـك الـرؤى ولـم يسـتثن مـن ذلـك الحكـم عـلى شـيوخه ومعلميـه.** وفي هـذا الإطـار يمكـن القـول بصـورة سريعـة أن:

- **المهدي لم يأتي بجديد أو شاذ عندما مناداته بالمهدية**

- **الجو النفسي الشعبي كان لا يرفض ومهيئاً لقبول فكرة المهدي المنتظر**

- **المهدي هيأ نفسه تماماً لهذا الدور، حيث كان صوفياً ملتزماً.**

وإن كنت **أري أن يتم تحييد هذه الفكرة في أي دراسة موضوعية تتناول المهدية** ، فالمهدية فكرة دينية تحوم حول المنقذ الذي سيملأ الرض عدلاً بعد أن ملئت جورا ، **وهي محل خلاف استغرق جهداً كبيراً بين الفقهاء نفياً وإثباتا.** إلا أنه يمكن **ملاحظة المردود الإيجابي لفكرة المهدية في بعدها السياسي وأثرها على خلق رابط (جمعي)** ساعد المهدي على إدارة التنوع ، حيث إستطاع المهدي **وبذكاء شديد (تجيير الدعوة إلى خطاب عقدي جمع حوله كلمة وطرح نفسه كقائد ملهم** لجمع الاتباع حول خطاب واحد مقبول ، وبالتالي خلق أرضية لوحدة نفسية بين الأتباع :

- **رباط روحي بينه وبين الأتباع سهل من الإنقياد الطوعي**

- **وحدة نفسية بين الأتباع سهل من وحدة ومركزية قائدهم ،**

- **التفاف الناس حول قائد ملهم يصدق في القول والفعل وإيمانهم به ،**

- **لب الفكرة (الأخاذ) في بعدها الاجتماعي والسياسي الذي يقوم على إزالة الظلم وإقامة العدل .**

- قدرة المهدي بوصفه (قائد) على القيام بأمور تقفز على الواقع سهلت له التأثير المباشر على (أتباعه) ومكنته من السيطرة والتوجيه .

4. الاعتماد على قيادات جديدة :

المهـدي وفي سـبيل ادارة التغيـير نجـده قـد اعتمـد على قيادات شـابة وجديـدة، لم تكـن أرقامـاً في المجتمع ولكنهـا آمنت بـه وبرؤيتـه في التغيير.

ثالثـاً: فلسـفة الامـام المهـدي في إدارة التغيـير، الوعـي الذاتـي بتنـوع المجتمـع السـوداني

بالنظر للواقـع الاجتماعي في السـودان- قبـل الثورة المهديـة - كان متنوعاً ويحتوي على كثـير من المتناقضـات وروابط الانتمـاء المتمثلـة في القبيلة، الطريقـة الصوفية، العلاقـة مـع الحكومـة (مـع – ضـد) ، طبقـة الأغنيـاء والفقـراء ، مجتمع سـمته الأساسـية التفرقـة ، وعوامـل الربـط اقـل بكثـير ، مجتمـع تلعـب فيـه الطريقـة الصوفيـة الـدور الأهم وتتفـوق في ذلك على القبيلـة . في هذا الإطـار يمكننا ملاحظة العديـد مـن الشـواهد التي انطلقـت منها وعـي الإمام المهـدي الذاتي بذلـك التنوع والاختلاف:

1. **المعرفة التامة بأحوال البلاد والعباد:**

تنقـل المهـدي في البـلاد باحثاً عـن العلـم، وفي بعض الأحيـان للعمل. كذلـك طوافه في البـلاد لإعطـاء الطريقـة الصوفية. كل ذلـك جعله لا يجد صعوبـة في فهم طبيعة البـلاد ونوعية العبـاد وأدراكه لواقـع التنوع وبالتـالي تبلور فلسـفة التعاطي معه.

2. **العمل على خلق رابط جديد في المجتمع:**

سـعى المهـدي لخلق ربـاط جديد بدلاً عـن الطريقـة الصوفية والقبيلـة، فجعل من دعوتـه المهديـة محـوراً لذلـك الرابـط الجديـد. وفي إطار ذلـك الغى جميـع الطرق الصوفيـة وعطـل العمل بالمذاهـب الأربعـة. وفي اعتقادي أنها ترتيبـات في (ظاهرها دينيـة) الا انهـا في حقيقـة الأمر (سياسـية) القصـد منهـا الترويـج للربـاط الأوحد المهدية.

3. **إيجاد معايير جديدة:**

تمثـل **المعيـار الأول** في مركزيـة القيـادة الروحيـة بحيث شـكل المهدي الشـخصية المركزيـة للثـورة قائـداً وملهماً .

والمعيــار الثانــي تمثــل ايجــاد مفاهيــم الجديــدة للتمايــز بــين الجماهــير، فجعــل الترتيــب بالإنتمــاء للدعــوة المهديــة (أبــكار المهديــة ، أنصــار أبــا ، أنصــار تقــلي ..) .

المعيــار الثالــث ، تمثــل في لا مركزيــة القــواد بمعنــى أنــه يختــار الرجل المناســب للمهمــة المناســبة ، فــكان يختــار لقيــادة أي مجموعــة رجــل منهــا . وكان يختــار لأي مهمــة رجــل مــن ذات المنطقــة المطلــوب تنفيــذ المهمة ز

والملاحظــة الجديــرة بالإشــارة اليهــا هــي أن المهــدي كان يختــار لأي مهمــة في جهــات الجزيــرة والشــمال قائــد معــروف عنــه صوفيتــه ، وأي مهمــة في الغــرب أو الجنــوب كان يختــار لهــا قائــد لــه مكانتــه في قبيلتــه .

خاتمة:

لقــد ســعت هــذه الدراســة إلى تقديــم قــراءة تحليليــة لســيرة الإمــام محمــد أحمــد المهــدي مــن منظــور نظريــات القيــادة التغييريــة، بوصفــه قائــدًا تاريخيًا تمكــن مــن إحــداث تحــول عميــق في الوعــي الجمعــي الســوداني في نهايــة القــرن التاســع عــشر، وتوجيــه ثــورة شــعبية شــاملة ضــد نظــام اســتعماري متجــذر. وقــد بيّنــت الدراســة أن نجــاح الثــورة المهديــة لــم يكــن مجــرد نتــاج لظــروف سياســية مواتيــة أو لفشــل الإدارة التركيــة فحســب، بــل كان بدرجــة كبــيرة ثمــرة مقــدرات ذاتيــة اســتثنائية تمتــع بهــا الإمــام المهــدي.

مــن خــلال تحليــل الأبعــاد المختلفــة لشــخصيته القياديــة، يتضــح أن الإمــام المهــدي قــد جسّــد خصائــص القائــد التغيــيري كمــا تطرحهــا النظريــات الحديثــة: فامتلــك رؤيــة واضحــة ومشروعًــا إصلاحيًــا متكامــلًا، واســتخدم الإلهــام والتحفيــز لتعبئــة الجماهــير، وأبــدى فهمًــا عميقًــا لتركيبــة المجتمــع الســوداني وتنوعــه، ممــا مكّنــه مــن تجــاوز الانقســامات القبليــة والدينيــة، وتأســيس رابطــة جديــدة قائمــة عــلى الــولاء للدعــوة المهديــة.

أظهــرت الدراســة كذلــك أن الكاريزمــا الشــخصية، والخطــاب الدينــي – الاجتماعــي المؤثــر، والمعرفــة الواســعة بطبيعــة الســودان وأحــوال النــاس، كلهــا

عناصر أساسية ساهمت في صياغة تجربة الإمام المهدي كقائد تغييري، استطاع أن يدمج بين الوظيفة الفكرية والرمزية، وبين الإدارة العملية والتنظيم العسكري. كما أن المهدي لم يقد الثورة فحسب، بل أعاد تعريف مفاهيم الانتماء، وموقع الدين في الحياة السياسية، ووضع أسسًا لرؤية مختلفة للحكم والمجتمع.

لقد أبرز المقال حجم التحديات المنهجية والمصدرية المرتبطة بدراسة سيرة الإمام المهدي، خاصة في ظل طغيان السرد الأيديولوجي أو التوثيقي المحايد على التحليل القيادي والفكري. وهو ما يستدعي إعادة النظر في الإرث المهدوي باعتباره حقلًا غنيًا لتحليل القيادة في سياق ما قبل الدولة الحديثة، وليس فقط جزءًا من التاريخ السوداني السياسي أو الصوفي.

إن تجربة الإمام المهدي تمثل حالة فريدة من حالات القيادة التغييرية في التاريخ الإسلامي الحديث، وهي مثال حي على كيف يمكن لشخصية واحدة، ذات وعي ذاتي ورؤية تغييرية، أن تُحدث تحولات كبرى في واقع بالغ التعقيد. ومن هنا، فإن استدعاء هذه التجربة لا يكون فقط بغرض التمجيد أو النقد، بل من أجل الفهم العميق للكيفية التي يُمكن بها للقادة إحداث التغيير، متى توفرت لهم أدوات التأثير، وشروط الوعي، وإرادة الفعل.

الفصل الثاني
الذكرى الـ140 لوفاة
الإمام المهدي

ومشى في الصبا قسيم المحيا

الفصل الثاني

الذكرى الـ 140 لوفاة الإمام المهدي ومشى في الصبا قسيم المحيا

أ. د. عبد الله علي إبراهيم

قبل 140 عاماً، تحديداً في الـ 22 من يونيو (حزيران) 1885 أسلم الإمام محمد أحمد المهدي الروح راضياً مرضياً ولم تنقضِ خمسة أشهر من فتحه مدينة الخرطوم والقضاء على النظام التركي- المصري (1821-1885) فيها.

وسأل المؤرخ محمد سعيد القدال سؤالاً لم يطرأ للمؤرخين وهو كيف استطاع شاب في الـ35 ربيعاً استثارة ثورة لم تستنفر السودانيين في يومهم للقضاء على النظام التركي- المصري وحسب، بل ظلت معهم عند كل منعطف من تاريخهم ومنعرج. فهو "يخيم" حتى على حربهم ليومنا لم يحِل الاصطراع بينهم وبينه. فحين احتلت قوات "الدعم السريع" مدينة الخرطوم عام 2023 قالوا إن التاريخ يعيد نفسه هنا. فهم ما زادوا على اقتفاء أثر أجدادهم من شعب البقارة، المزعوم أنها جند المهدية قديماً وحاضنة "الدعم السريع" ليومنا الذين فتحوا الخرطوم في 1855 تحت راية المهدية. وقال خصومهم في صف القوات المسلحة إنكم بالفعل تعيدون ما عاثوه أجدادكم فساداً في المدينة.

1

يخرجنا سؤال القدال من أخذ ثورة المهدي كقدر لا كفعل إنساني لم تسق إليه أشراط اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية (مثل أنه جاء في 1881 رأس القرن الهجري الذي هو زمان المهدي). فبدا للمؤرخين غيره أنه ما دام أن المهدي أكمل عدة الثورة لم تعُد لحياته لما قبل الثورة قيمة سوى أنها مقدمة لحدث لم يكُن من مهرب منه أن يقع كمواسم الطبيعة. وربما كانت قصيدة التيجاني يوسف بشير (1910–1937) "في دُجى مطبق" التي ندرت الإشارة إليها في معرض الحديث عن المهدية، هي من ألهم القدال السؤال فاستشهد بها طوال كتابه "الإمام المهدي" (1991). وقال التيجاني عن طراوة عمر المهدي وثورته: ومشى في الصبا قسيم المحيا هيئت نفسه لكبرى الأمور.

وكانت للتيجاني في الشباب الذي صرع هو نفسه وهو في بواكيره، نظرات ثاقبة. وهكذا جاء القدال بتعليل نبيه لتغاضي المؤرخين عن طفولة المهدي وشبابه. فطالما بدأت حياته بإشهار مهديته في 1881. فالمهدي عندهم قبل ذلك لم يكُن سوى حال من الاستعداد والتربص ليقوم بذلك الدور.

2

يُنسب المهدي إلى شعب الدناقلة النوبي بلسانه غير العربي. فزجره أستاذه محمد شريف نور الدائم حين اختلفا قائلاً "أنت دنقلاوي مجلد بجلد شيطان". وبقدر ما جرت هذه النسبة على اللسان، في حين نسب هو نفسه للأشراف الحسينية كما في تقليد الأسرة، لم يسأل أحد عن لغة أمه وإن كان قد نشأ في بيته عليها. ولم يسأل أحد لم كانت الأشراط (الشلوخ) الثلاثة على وجهه أفقية ليست من أشراط شعب الدناقلة الثلاثية الرأسية. وجاءت الدكتورة فاطمة محمد أحمد بتخريج معقول لهذا الخلاف.

فقالت إن جدة المهدي لأبيه كانت من شعب الشايقية الجار للدناقلة عند منحنى النيل. فكانت أسرة المهدي المنسوبة للأشراف انقسمت بين من سكن بين الدناقلة ومن سكن بين الشايقية. واتصل الرحم بينهما حتى تزوج جد المهدي قريبته من دار الشايقية. وقالت فاطمة محمد أحمد إن المهدي خلال صغره زار مع أهله أقرباءهم في الشايقية.

وحضر الدرس في الخلوة يوم مجيء "الشلاخ" (من يصنع الأشراط على الوجوه) لتلك الخلوة بغرض تشليخ تلاميذها. واستهوى الأمر المهدي الطفل فطلب أن يشلخ مثلهم مع أنه غير معدود فيهم. وأصر المهدي وبكى فاسترضاه شيخ الخلوة بأن سأل الشلاخ أن يصنع عليه شلوخاً خفيفة جداً. ومهما يكُن من صدقية هذه الرواية عن الواقعة فهي الرواية الوحيدة التي دخلت على أسرة المهدي في طفولته من جهة شلوخه للمرة الأولى.

3

لن تجد في سيرة المهدي ذكراً أن كانت عقدت للمهدي زمالات في معاهد العلم نجدته لما اختار السكة الخطر في التبليغ والدعوة والثورة. وهذه الزمالة مما لا تخلو منه سيرة ثائر محدث في مثل قولنا إن هذا السياسي دفعة الآخر في مدرسة حنتوب الثانوية التي يعزى إليها تخريج جيل سياسي كامل. والانصراف عنها في سيرة مثل المهدي توحي وكأن طلاب الخلاوي خلق لا تدني عشرة الطلب وأحدهم من الآخر في مطلب الحق، غير أننا نجد سيرة الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، شيخ العلماء بعد احتلال الإنجليز للسودان عام 1898، تتقاطع مع المهدي بصورة معجبة. فتخرج كلاهما من المعاهد نفسها بغير أن يتعاصرا لفارق السن. فكلاهما درس القرآن في خلوة الشيخ محمد المبارك، جد أبو القاسم، بحلة بري التي هي الآن حيّ في قلب الخرطوم.

وكان المهـــدي طلـــب العلـــم فيهـــا في صبـــاه مـــع أسرتـــه في حـــي "ســـلامة الباشـــا" بالخرطـــوم. ثـــم اختلفـــا لنفـــس خلـــوة الشـــيخ محمـــد الخـــير المعروفـــة بـــ"خـــلاوي الغبـــش" بجهـــة بربـــر عـــلى مســـافة 364 كيلومـــتراً شـــمال الخرطـــوم. ومـــا دعـــا المهـــدي بدعوتـــه حتـــى خـــرج أبـــو القاســـم في أهلـــه للبيعـــة. وصـــار كاتـــب المهـــدي والخليفـــة عبداللـــه مـــن بعـــده.

4

ومما يغري باستدعاء اختلاف المهدي وأبو القاسم للمعاهد نفسها ربما تأثير شيخهما محمد الخير في خلاوي الغبش القريبة من مدينة بربر. فمن مرويات تلك المنطقة أن الشيخ محمد الخير كان ذا نفرة في الدين في إزالة المنكر. واشتهر باسم "الضكير"، وهو "الذكير" أي مكتمل أركان الرجولة. فكان يقود تلامذته في غارات متصلة على المنكر في بربر يصلحه بيده ولسانه. وكان منكر بربر، المدينة التجارية الثانية في السودان يومها، كبيراً في ما يبدو. فقال شاعر رآها من بعد:

بشـــوف بربـــر بشـــوف جوخـــا وحريـــره

بشـوف الميضنـة (المئذنـة) القبل (المقابلـة) الجزيرة

وهما طرفا النقيض في معادلة المدن التي يفسق مترفوها وتبطر معيشتها. وقد انتفضت بالمهدية المئذنة على الجوخ والحرير، وسوت بها الأرض فصارت خراباً يسميه الناس "الشرام". وترحل الناس عنها إلى موضع قريب منها هو بربر الجديدة لأن المهدية لم ترِد لهم أن يسكنوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم. وما أعلن المهدي دعوته إلى الثورة حتى لبى أستاذه شيخ الخير الدعوة من الوهلة الأولى وصار أميراً عن المهدية في ناحيته.

5

توحـي قـراءة سـيرة المهـدي التـي نعجـل بهـا إلى يـوم خـرج بالمهديـة إلى أنـه ريفـي المناشـئ في دنقـلا ثـم كـرري في ريـف أم درمـان الحاليـة.

ولكن القدال وطنه في المدينة كما لم يفعل مؤرخ قبله. وكانت الأسرة غادرت دنقلا هرباً من اضطهاد كاشف ضيق عليهم هو جد الرئيس جعفر نميري الذي كانت له مع أنصاره والإمام عليهم من ذريته معركة دامية مشهورة عام 1970. وبعد سكنى قصيرة في كرري التي شهدت لاحقاً المعركة التي قضت على دولته، بعد دنقلا ووفاة والده وهو في عمر الثامنة سكنت الأسرة الخرطوم، وبها توفيت والدته التي زار قبرها بعد فتح المديمة عام 1885. وعرض القدال للاقتصاد السياسي للخرطوم، فكان النظام التركي وحّد السوق الداخلية للسودان في دولته المركزية، وربطها بالسوق الإقليمية والعالمية.

وجـاءت الـذروة مـن ذلـك بنجاحـه في توغله في جنـوب السـودان بفضل أسـطول بواخـره الحديثـة باجتيـاز حـزام الحشـائش الـذي قـام سـداً بـين شـقي البلاد، فانفتحـت سـوق كانـت النخاسـة عنوانها الأكـبر مع سـن الفيل وغيرهمـا. ووقعت بالنتيجـة "هرولـة" أوروبيـة للثـروة المسـتجدة جعلـت الخرطـوم شـبيهة لمـدن أميركيـة عرفـت "مـدن الانتعاش" الشرسـة التـي يطغى فيهـا مطلب كسـب المال في حـين تتضـاءل الـروح فيها. وصـور الرحالـة الفرنسي غاليـوم ليجـان الذي زار الخرطـوم وقتهـا وكتـب عـن رحلتـه عـلى النيلـين عـام 1865، ذلك الأخـدود بين كسـب المال وخسـارة الـروح. فسـمى الخرطوم "أوروبـا الصغيرة غـير الفاضلة". فالفـرد يحيـا فيهـا بلا مسـؤوليات كبـيرة أو مطالب روحيـة، وقال إن مـن جاءها مـن الأوروبيـين كانـوا تجـاراً مفلسـين ومجرمـين وعتـاة ليجربوا حظهـم في جمع الثـروة، أو ليحفـروا قبورهـم بأيديهم غـير خائفين خسـارة شيء لأنهـم لا يملكون شـئياً. وزاد ذلـك مـن انزلاقهـم إلى كل مـا هـو بعيد مـن الفضيلة وتثبيـت صفات الفسـاد والغـش والعنف في نفوسـهم.

وهكـــذا جـــاءت هجـــرة أسرة المهـــدي التـــي انتهـــت إلى الخرطـــوم إلى مدينـــة "ســـدومية" في وصـــف الدكتـــور أحمـــد أحمـــد ســـيد أحمـــد في كتابـــه "تاريـــخ الخرطـــوم تحـــت الحكـــم التركـــي" (عـــام 2000) ضمـــن موجـــات هجـــرات الدناقلـــة إليهـــا. وســـكنوا "حلـــة المراكبيـــة" لارتباطهـــم بتجـــارة الرقيـــق كحـــراس للبضاعـــة والتجـــار أنفســـهم. وكان أكثـــر البغـــاء في المدينـــة في الحـــي الذي ســـكنته أسرة المهـــدي، ســـلامة الباشـــا. وكان ذلـــك فـــوق احتمـــال فتـــى في زهـــادة المهـــدي وشـــغفه بالحـــق وتقـــواه.

6

تنتشـــر في ســـيرة المهـــدي أوضـــاع مـــن الـــروع تنـــدّت بهـــا عيونـــه خشـــية وتقـــوى، بـــل ذكـــر لـــه صرعـــه بالمعانـــي أســـتاذه محمـــد شريـــف نـــور الدائـــم، مـــن قـــادة الطريقـــة الســـمانية، حتـــى بعـــد خلافهمـــا المعلـــن في قصيـــدة جـــاء فيهـــا:

كـم صـام كـم صـلى كـم تـل   مـن الله ما زالـت مدامعه تجري

فالمـــروي عـــن أســـتاذه محمـــد شريـــف نـــور الدائـــم أنـــه دخـــل عليـــه يومـــاً فوجـــده يطالـــع كتـــاب "إحيـــاء علـــوم الديـــن" وهـــو يقطـــر دمعـــاً يبكـــي. وكتـــب بابكـــر بـــدري، التربـــوي الســـاطع في القـــرن الـــ20 والـــذي حـــارب في جيـــش المهديـــة شـــاباً، في المعنـــى أن المهـــدي زار بلدتهـــم رفاعـــة عـــلى النيـــل الأزرق خـــلال ســـياحاته، داعيـــاً في جماعـــة مـــن تلاميـــذه، ووصفهـــم بأنهـــم كانـــوا ذوي وجـــوه مشرقـــة وثيـــاب نظيفـــة وأذكارهـــم نســـيقة. وكان بـــدري يشـــغف بـــأداء صـــلاة المغـــرب خلفـــه، فقـــال إن المهـــدي قـــرأ مـــرة ســـورة القارعـــة في الركعـــة الأولى فلمـــا بلـــغ "يـــوم يكـــون النـــاس كالفـــراش المبثـــوث" صعـــق وخـــرّ مغشـــياً عليـــه. فتقـــدم أحـــد حيرانـــه وأتـــم الصـــلاة بالنـــاس. وظـــل المهـــدي في صعقتـــه حتـــى انفـــض الجمـــع. وزاد قائـــلاً إنـــه كان ملتصقـــاً بصفحـــة المهـــدي حـــين جـــاء الخرطـــوم بعـــد ســـقوطها في ينايـــر (كانـــون الثانـــي) عـــام 1885 يتفقـــد بيـــت

المـال. فـرأى حـلي الذهـب وسـبائكه فالتفـت عنهـا بسرعـة الـبرق وصـد عنهـا راجعـاً. فخطـر لبابكـر في السـاعة بيـت البصـيري "فراودتـه الجبـال الشـم مـن ذهـب." وصـلى بابكـر في يـوم آخـر مـع المهـدي فلمـا قـرأ "وكـم أهلكنـا مـن قريـة بطـرت معيشـتها" انحنـى المهـدي حتـى ظنـوا أنـه سـيموت، ولكنـه لمـا رفـع رأسـه فـإذا لحيتـه كلهـا تقطـر دموعـاً.

7

يبـدو أننـا مـع موعـد لسـيرة للمهـدي أفضـل ممـا بيدنـا متـى ائتلفـت فيهـا نظـرات القـدال وإثنوغرافيـا سـيد أحمـد لخرطـوم القـرن الــ19. فلقـد رأى الفتـى الإلهـي مدينـة تـرزح في اقتصـاد باطلهـا. ونمـى في نفسـه تلـك التقـوى بالعلـم والتصـوف معـاً التـي تنـدى شـفقة بالخلـق عيـال اللـه. وخـرج في جيـل سـوداني سـماه المـؤرخ التيجانـي عامـر "دراويـش وفرسـان". وهـي الطاقـة المجهولـة ربمـا التـي مـن وراء تعاقـب ثـورات السـودان منـذ اسـتقلاله عـام 1956.

الفصل الثالث

الذكرى الـ140 لوفاة

ا الإمام المهدي

وثائق غائبة أم مُغيَّبة..

الفصل الثالث

الذكرى 140 لرحيل المهدي
وثائق غائبة أم مُغيّبة..

د. محمد المصطفى موسى

مقدمة:

تمر علينا هذه الأيام الذكرى 140لوفاة الإمام محمد أحمد المهدي. وهي ذات الذكرى التي ما زالت وقائعها تحتاج لسبر موضوعي عميق يعُلى من شأن أمانة التوثيق سعياً لاستقامة قسطاس التاريخ. مثل هذا النوع من الدراسات يتطلب إعمال المزيد من التمحيص الأكاديمي في الوثائق المكتوبة بخط يد المهدي نفسه ومن عاصره من مفجري الثورة المهدية فيما سبق الواقعة ذاتها. ونعني هنا تحديداً ما دونه معاصرون للثورة على نحو الأستاذ محمد عبد الرحيم في سفره القيم "نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والإجتماع "، السيد علي المهدي في "أوراقه "والأمير محمود آدم حلو في مخطوطته "الفتوحات الربانية". ومن ذلك أن إفتقار الذاكرة التاريخية الوطنية لهذا المخزون المعرفي المهم يُحَّجم بدوره من محاولة رؤية نهر التاريخ من ضفة موازية ولكنها في غاية الاختلاف والأهمية. بيد أن الأثمن من ذلك كله، يبقى متمثلاً فيما حفل به أرشيف الصحافة البريطانية والعالمية وأضابير الكتابة الإبداعية المعاصرة للثورة من أدبيات متعلقة بوفاة المهدي. ولا شك أن هذا الحشد الوثائقي كله يوضح مفصلية تلك الواقعة على تاريخ السودان وأثرها الإقليمي والعالمي على توسع بريطانيا في مستعمرات ما وراء البحار.

كيف توفي المهدي وماذا ورد عن مرضه في المنشورات التي خطها بخط يده؟ وماذا ورد في الأدبيات السودانية المروية عن ذلك؟ وما هو صدى

نبـأ وفاتـه عـلى وسـائل الإعـلام والصحـف البريطانيـة والعالميـة آنـذاك، وكيـف تنـاول المؤرخـون البريطانيـون تلـك الأحـداث؟

فلنـترك الوثائـق المكتوبـة تجيـب عـلى هـذا السـؤال.. ففيهـا مـا يكفـي مـن الإبانـة واليقـين الـذي يجـلي حقائـق الأشـياء.

بعـد تحريـر الخرطـوم وتحديـداً.. في مايـو 1885 الموافـق شـعبان 1302 هجريـة (أي قبـل أقـل مـن شـهرين مـن تاريـخ وفاتـه) كتـب الإمـام المهـدي لأحمـد ود سـليمان أمـير بيـت المـال معزيـاً في وفـاة الأمـير العبيـد محمـد سـعيد .. وذكـر نصـاً: "شـوقه (اي المهـدي) للقـاء الرحمـن في كل آن حتـى نجـد المقصـود عنـد انقضـاء الأحيـان ". كمـا ختـم خطابـه مؤكـداً عـلى مضمـون الرسـالة بقولـه "ان مـوت أعـز الاحبـاب داعٍ إلى الوثـوق بالوهـاب والفـرار مـن دار السـراب ولا شـك أن إنتقـال الحبيـب العبيـد شـوقنا إلى لقـاء اللـه الحميـد والسـلام ".. (أبوسـليم: الآثـار الكاملـة للإمـام المهـدي، المجلـد الخامـس، ص 186) وبعدهـا ببضعـة أيـام خاطـب المهـدي الأمـير أحمـد ود سـليمان مطالبـاً بـالإسراع في تجهيـز الجيـش المتجـه لتحريـر مدينـة سـنار وذكـر عـدم تمكنـه مـن الحضـور لتوديـع الجيـش بنفسـه لمرضـه. ولعلهـا أولى الوثائـق التـي يتحـدث فيهـا المهـدي عـن مرضـه بشـكل واضـح. وأتبـع ذلـك بخطـاب أخـر لأحمـد ود سـليمان معزيـاً في وفـاة الأمـير إسـماعيل الـدود. وذكـر فيـه أن إشـتداد المـرض عليـه منعـه مـن الحضـور بنفسـه للصـلاة عـلى جثمـان المتـوفي. (خطابـات المهـدي لأحمـد ود سـليمان بتاريـخ أوائـل شـعبان الموافـق مايـو 1885، أبوسـليم : مصـدر سـابق).

وعـلى الرغـم مـن إشـتداد المرض عـلى المهـدي إلا أن ابراهيم فـوزي باشـا الضابط والإداري المـصري الـذي وقـع في أسر الثـوار بعـد تحريـر الخرطوم يذكـر ما يفهم منـه انـه صلى خلـف المهدي صـلاة ليلة النصـف من شـعبان حين يقـول: "وصلى المهـدي بالنـاس في ليلـة النصف من شـعبان مائة ركعـة بالقرآن كلـه رافعاً صوته بالقـراءة باكيـا" .. (ابراهيـم فوزي: السـودان بين يـدي غردون وكتشـنر، مطبعة الآداب والمؤيـد، القاهرة، ص 26) .

وفي اليوم الأخير من شعبان 1302هجرية عاد المهدي عودته الأخيرة الي مدينة ام درمان من الخرطوم التي زارها لتفقد أحوالها فأزعجه ميل بعض الانصار عن التقشف والزهد وإيثارهم لحب الدنيا وسكناهم في قصور أعيان الخرطوم وباشواتها من المستعمرين.. فخطب خطبة الجمعة الأخيرة في مسجدها وقرع ذلك المسلك تقريعاً عنيفاً. وتلى قوله تعالى (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) .. الآية 45 سورة ابراهيم. وستكون تلك أخر صلاة له بمسجد مدينة الخرطوم قبل وفاته. (أوراق السيد علي المهدي، نسخة بخط يد الشيخ سليمان اديب، ص 89 ، دار الوثائق السودانية) " .

عند ثبوت هلال رمضان 1302 وبعد صلاة المغرب طلب المهدي من الناس العفو وذاكرهم في فناء الدنيا وخير الآخرة وقال " إن هذا شهر رمضان وهو شهر عظيم نريد أن نقبل فيه على الله فلا تشغلونا فيه بأشغال دنيوية وقد عينا لكم خلفاء وقضاة ونواب وأمراء فمن كان عنده قضية أو أمر فليرفعه لجهة اختصاصه ، أما المظالم والحاجيات التي تخص بيت المال فأرفعوها إلى أمين بيت المال " .. (علي المهدي : مصدر سابق).

ويتوافق ما تقدم ذكره تماماً مع مضمون اخر منشور للمهدي والذي صدر في نهايات شعبان 1302 هجرية الموافق بالتقريب 14 يونيو 1885. وعُلق على حائط المسجد.. يذّكر فيه بقدوم شهر رمضان ويذكر أنه شهر الاشتياق إلى الرحمن ويطلب أن لا يشغله أحد بقضاء حاجة من حوائج الدنيا لأنه سينقطع للذكر والعبادة. ويحيل كل أصحاب الحوائج للأمراء والخلفاء لقضاء حوائجهم. وقد أورد المؤرخ البروفيسور أبوسليم نص المنشور كاملاً في "الآثار الكاملة " -المجلد الخامس ، ص 207 والذي ورد فيه : " فتحققوا بذلك أيها الاحباب و أوصلوا أنفسكم لله و أرفعوا حوائجكم اليه فكلنا عبيد الله والأمور بيده فلا تشغلونا بقضايا ولا بحوائج في هذا الشهر وخلونا للذكر والتذكار و الصلوات والدعوات فها هم الخلفاء نيابة عني والأمناء المعنيين " .

وفي ثانـي أيـام رمضـان إشـتدت الحمـى عـلى الإمـام المهـدي إلى أن إنتقـل إلى رحمـة مـولاه في ثامـن ايـام رمضـان 102 هجريـة الموافـق 22 يونيـو 1885 فدُفـن في ذات الحجـرة التـي تـوفي فيهـا . وهـي ذات المـكان الـذي يوجـد فيـه ضريحـه الحـالي ولـم يتخـط عمـره آنـذاك الثانيـة والاربعـين بعـد . وتقـدم الخليفـة عـلي ود حلـو فبايـع الخليفـة عبداللـه وتبعـه الخليفـة محمـد شريـف و بقيـة الأمـراء. وتحولـت المهديـة مـن ثـورة إلى دولـة فقـدت قائدهـا في أحلـك الظـروف.

في عالـم كانـت تتصارع فيـه القوى الاوربيـة لدحر حـركات المقاومـة التي تصدت لهـا كحال الثـورة المهديـة، طارت تلـك الأنباء سريعـاً لتندلق عـلى عناوين صحافة العالـم. و تصـدت صحيفة بريطانيـة مهمة عـلى نحـو " Shefield Daily Tele-graph " لنـشر تحقيـق صحفـي " How the Mahdi died" أو " كيـف تـوفي المهـدي " . وخلصـت فيـه إلى أنـه تـوفي بالحمـى "رجحـت أنهـا حمـى مرتبطـة بمـرض الجـدري " و الـذي إشـتد عليـه منـذ 19 يونيو حتـى تـوفي في 22 يونيو 1885 .. كمـا ذكـرت أن اخـر وصايـا المهـدي كانت مواصلـة حـرب التحرير ضد الغـزاة وأشـارت إلى أن الخليفـة عبداللـه قـد خلفـه في إدارة الدولـة. وفي نهايـة التحقيـق أشـارت الصحيفـة نفسـها إلى أن خـبر وفـاة المهـدي قـد تناولتـه أبـرز صحـف العاصمـة النمسـاوية "فيينـا" ونقلـت بدورهـا تهانيهـا الحـارة عن خبر موت المهـدي للحكومة البريطانيـة.. (Shefield Daily Telegraph , عدد السـبت 1 اغسـطس 1885 , ارشـيف الصحافـة البريطانيـة) . والمدهـش حقـاً هو تطابق تفاصيـل أيـام مـرض المهـدي و فاتـه بالنـص مـع مـا دونـه محمـود آدم حلو في "الفتوحـات الربانيـة" . وكان حلـو مقاتلاً مع المهـدي منذ اندلاع الثـورة المهدية و حتـى مواجهاتهـا الأخـيرة مـع البريطانيـين في كـرري و أم دبيكرات.

أمـا صحيفـة " Hartlepool Mail" البريطانيـة والتـي تصـدر مـن مدينـة درم بأقـصى شـمال إنجلترا فقد نـشرت تحقيقـاً بعنـوان " Russia and the Mahdi's death" أو " روسـيا و وفـاة المهـدي " . نوهـت فيـه إلى إهتمام الصحف الروسـية بخـبر وفاة المهـدي وذكرت تحديـداً صحيفة Novo Vermya الروسـية الشـهيرة و إهتمامهـا بنـشر هذا النبأ . كما أشـارت لقلق روسـيا مـن النتائج المترتبـة على ذلك

لأنها ستعطي بريطانيا تحللاً أكبر من خطر الثورة المهدية على مستعمراتها. و النتيجة المتوقعة عندها ستكون إطلاق يد بريطانيا في منطقة آسيا الوسطي وهو ما تخشاه روسيا . (Hartlepool Mail، عدد 30 يوليو 1885، ارشيف الصحافة البريطانية).

و أوفدت صحيفة " Western Daily Press" الإنجليزية مراسلاً صحفياً إلى مدينة سواكن والتي كانت ما تزال تحت قبضة البريطانيين على الرغم من وقوعها تحت حصار قوات الأمير عثمان دقنة . ونوهت الصحيفة ذاتها لصعوبة تحديد أثر رحيل المهدي على السودانيين. بيد أنها ذكرت بوضوح أن مشايخ القبائل والأمراء هناك قد استولى عليهم حزن كبير لموت قائدهم. وقالت أن ذلك لم يفت من عضدهم بل يبدو انه زادهم تصميماً، فهم يصلون صباحاً ومساءً للموت او الجنة " praying night and day for death and heaven ". ووصفت الصحيفة الأمير عثمان دقنة بالقائد الرائع الذي استطاع تثبيت قلوب المئات من أتباعه نحو الإلتفاف حول الثورة رغم رحيل قائدها. و نوهت أيضاً إلى أن رجاله الذين يقدر عددهم بالمئات ما زالوا قادرين على محاصرة 10,000 من القوات البريطانية في أماكنهم. (صحيفة Western Daily Press ,عدد 19 اغسطس 1885، ارشيف الصحافة البريطانية) .

وفي الذكرى الخامسة عشر لوفاة المهدي كتبت صحيفة "York Herald "البريطانية تحت عنوان " The Sudanese Views of the Mahdi " .. خلصت الصحيفة إلى أنه كان رجلاً عظيماً " He was a great man" .. كما أشارت إلى أنه لم يُهزم في معركة قط طوال حياته " He never saw a defeat " ويذكر صاحب المقال البريطاني أن هذه الحقيقة قد جابهه بها أحد الذين إستطلعهم من السودانيين وقد أوقعته صحة المعلومة التي كان يعرفها سلفاً في حرج بالغ إضطر معه الي تغيير الموضوع مع الشخص المستطلع رأيه ..

" This was so true that I changed the subject " ..

(صحيفة York Herald ، عدد 30 يونيو 1899، ارشيف الصحافة البريطانية).

و إســتباقاً للذكــرى ال ٤٩ لوفــاة المهــدي كتبــت "وســترن ديــلي بــرس الإنجليزيــة" لتُذّكــر بتأييــد القوميــين الايرلنديــين للمهــدي و ثورتــه ضدهــم في الســودان . و تحدثــت تحديــداً عــن المناضــل القومــي الأيرلنــدي وليــام أو برايــن ومقالــه الشــهير بعنــوان " أسرع أيهــا المهــدي " و الــذي زلــزل أذهــان قــراء صحافــة بريطانيــا بذلــك الوقــت مــن خــلال تأييــده لمقاومــة الشــعب الســوداني لنفــوذ البريطانيــين (أرشــيف الصحافــة البريطانية، ١٠ فبرايــر 1934) . و عُرف وليــام أوبرايــن لاحقــاً في أدبيــات القوميــين الأيرلنديــين بمهــدي ويســبورت.. " The Mahdi Of Westport " كنايــة عــلى تصميمــه عــلى مقاومــة الإنجليــز و ذلــك بعــد جنوحــه للإســتقرار في مدينــة ويســبورت بغربــي أيرلنــدا في ســنواته الأخــيرة .

عــلى مســتوي المؤرخــين البريطانيــين فقــد كتــب ونســتون تشرتشــيل رئيــس وزراء بريطانيــا الأســبق.. في معــرض تقييمــه لأحــداث الثــورة المهديــة والتــي عــاصر أحداثهــا كمراســل حربــي ومــؤرخ.. كتــب معلقــاً عــلى إنجــازات المهــدي قبــل وفاتــه:

" مهمــا قيــل عــن المهــدي ، فيجــب ان لا ننــسى أنــه القائــد الــذي بــث روح الحيــاة والامــل في قلــوب بنــي وطنــه . لقــد كان هــو الزعيــم الــذي حــرر بــلاده مــن الحكــم الأجنبــي وحــول شــعبه مــن حيــاة بائســة بــلا أمــل الي حيــاة مفعمــة ومليئــة بالروعــة . لقــد أشــعلت روح المهــدي بــين صــدور الســودانيين المتواضعــة شــعلة الوطنيــة والانتمــاء للديــن . وصــارت الحيــاة مليئــة بالمخاطــر المبهجــة والمثــيرة فعــاش الســودانيون في عالــم جديــد رائــع ألهــب خيالهــم .. فهــم إن عاشــوا في هــذه الدنيــا ، فســيقومون بجلائــل الاعمــال .. وإن لقــوا حتفهــم في أثنــاء إشــتباكاتهم مــع مربعــات الجيــش البريطانــي او القــوات المصريــة الغازيــة ، فمصيرهــم جنــة الســماوات عندهــا ".. ثــم يســتطرد في حديثه إلى أن يقــول " ولذلــك فإننــي اعتقــد أنــه في ســنوات المســتقبل القريــب إن هبــت ريــاح التقــدم والازدهــار وأعقبهــا قطــار الوعــي والتعليــم في ذات المســار لشــعب وادي النيــل , فعندهــا لــن ينــسي أول مــؤرخ عربــي يــود أن يوثــق لتاريــخ تلــك الأمــة .. لــن ينــسى .. أن يكتــب إســم محمــد احمــد المهــدي في مقدمــة ابطــال

شـعبه " ... (ونسـتون تشرتشـل : حـرب النهـر ، النـاشر.. Mau Publising , نسـخة الكترونيـة بتاريـخ 2013 ، ص 53-52) .

وفي ذات السـياق علـق أسـتاذ التاريـخ البريطانـي البروفيسـور ثيوبولـد A.B. Theobold عـلي وفـاة المهـدي وانجازاتـه في حياتـه القصـيرة .. مـن خـلال سـفره القيـم "The Mahdiya" حينمـا كتـب قائـلا :

" كانـت شـهرة محمـد أحمـد المهـدي كفيلـة بـأن تحفـظ إسـمه للأجيـال القادمـة مـن بنـي وطنـه .في خـلال أربـع سـنوات ، صنـع مجده مـن العـدم . و إنتـصر انتصـاراً كبـيرا عـلى قوتـين دوليتـين تفوقانـه عـدة وعتـاداً (بريطانيـا وتركيـا) . قـام بوضـع أسـس الدولـة الوطنيـة الجديـدة.. كمـا قـام بدعـوة إصلاحيـة إسـتهدفت إصـلاح مـا فسـد مـن ديـن شـعبه . وحّـد السـودانيين .. و غـيَّر طريقـة وأسـلوب حياتهـم للأفضـل . منحهـم ثقـة وإيمانـا أكـبر بمقدراتهـم وبأنفسـهم .. وقادهـم نحـو الحريـة والانعتـاق . ومـع كل هـذا ، إكتسـب طاعـة شـعبه الكاملـة و إحترامهـم وتقديرهـم اللامحـدود .. هنالـك عـدد محـدود مـن الرجـال عـلى مـر التاريـخ الإنسـاني ممـن بوسـعهم القيـام بمثـل مـا قـام بـه المهـدي في السـودان " .. (اي . بـي . ثيوبولـد : المهديـة .. تاريـخ السـودان الانجليـزي المـصري، النسـخة الإنجليزيـة، النـاشر : Longman &Green ، لنـدن 1965 ، ص130) .

أمـا فيمـا يختـص بإسـتمرار كاريزمـا القائـد بعـد وفاتـه فقـد تعـرض لهـذا الأمـر بالتفصيـل البروفيسـور الامريكـي ريتشـارد ديكميجيـان أسـتاذ العلـوم السياسـية بجامعـة جنـوب كاليفورنيـا مـن خـلال بحثـه الأكاديمـي بعنـوان "كاريزمـا القيـادة في الاسـلام، مهـدي السـودان "بالتعـاون مـع المؤرخـة مارغريـت وزروميسـكي . و قـام ديكميجيـان بإجـراء دراسـة أكاديمية اشـتملت عـلى 140 مـن القـادة والأمـراء الذيـن سـاندوا المهـدي بتوظيـف مصـادر تاريخيـة متعـددة ومتنوعـة . فخلـص الي أن وفـاة المهـدي المبكـرة لـم تؤثـر عـلى إيمـان 126 منهـم بمبـادئ الثـورة و الإسـتمرار في مقاومـة البريطانيـين.. أي أن 90 % قـد واصلـوا عـلى ولائهـم واخلاصهـم لمبادئـه حتـى النهايـة..

وتراجــع عــن مبــادئ الثــورة 10 ٪ فقــط مــن قادتهــا. ووفقــاً لدراســته فقــد إستســلم معظــم هــؤلاء أو تراجعــوا عــن المقاومــة حينمــا صــارت الهزيمــة وشــيكة . ويقــرر ديكميجيــان أن تلــك النســبة تعــبر بوضــوح عــن إســتمرار كاريزمــا القائــد في تحريــك الجماهــير حتــي بعــد وفاتــه.. بــل ويذكــر أن المهدي لــو عــاش قليــلاً لشــكل تهديــداً حقيقيــاً عــلى ســيطرة بريطانيــا التــي كانــت تُخضــع مــصر ومســتعمراتها في افريقيــا . وفيمــا يختــص بكاريزمــا القيــادة التــي كان يتمتــع بهــا هــذا القائــد الســوداني التاريخــي ، كتــب دكيمجيــان و وزروميســكي

« لقــد كانــت مقــدرة المهــدي عــلى مخاطبــة وتحريــك الجماهــير أفضــل مثــال للبســاطة والوضــوح المطلــوب. في مجتمــع معقــد ومتعــدد الأعــراق والثقافــات كمــا هــو حــال الســودان في القــرن التاســع عــشر ، كانــت الثــورة المهديــة تمثــل نقطــة إلتقــاء لمطامــح وآمــال عريضــة لقــوى قبليــة واجتماعيــة وسياســية مختلفــة قاومــت الإحتــلال الأجنبــي . لقــد كان لكاريزمــا القيــادة عنــد المهــدي الــدور الأكــبر في تجــاوز تقاطعــات تلــك القــوى و إســترضاء أشــتاتها المختلفــة وتحقيــق التجانــس والإنصهــار بينهــا ثــم الوحــدة الوطنيــة ومــن ثــم الأنتصــار للثــورة ” .. ريتشــارد ديكميجيــان و مارغريــت وزموريســكي : كاريزمــا القيــادة في الاســلام : مهــدي الســودان ، جامعــة نيوريــورك ، الولايــات المتحــدة،1972 ، Richard H. Dekmejian and Margaret J. Wyszomirski (1972). Charismatic Leadership in Islam: The Mahdi of the Sudan. Comparative . (Studies in Society and History

وفي الميــدان الثقــافي، تصــدى الشــاعر الباكســتاني الشــهير علامــة محمــد اقبــال لتخليــد ذكــرى وفــاة المهــدي مــن خــلال ديوانــه المعــروف ”جافيــد نامــة“. وهــو ذات الديــوان الــذي تمــت ترجمتــه للغــات الإنجليزيــة، الإيطاليــة والألمانيــة. وفيــه يُخَّلــد إقبــال ذكــرى المهــدي بقصيــدة تتحــدث عــن طيفــه المنتــصر فيمــا بعــد المــوت. وظــل الطيــف ذاتــه   يلحــق بفلــول أعدائــه المســتعمرين وفي مقدمتهــم كتشــنر   وهــم نيــام في بــرزخ العالــم الآخــر. و أجــرى الشــاعر عــلى لســان المهــدي نــداءات عميقــة للأجيــال التــي تليــه مــن قــادة المسلمين مــن

أجـل توحيـد الجهـود لمقاومـة القـوى الإسـتعمارية (Javaid Nama محمـد إقبـال، ترجمـه للإنجليزيـة آرثـر جـي أربـري) .

صفـوة القـول أن المهـدي قـد عـاش حيـاة قصـيرة بحسـاب الزمـن والأرقـام. لـم تتعـد فترتـه في قيـادة حركـة المقاومـة ضـد القـوي الإسـتعمارية الأربـع سـنوات إلا أنهـا كانـت حيـاة حافلـة بالعديـد مـن الوقائـع والأحـداث التـي أسـهمت بقـدر كبـير في تشـكيل ملامـح السـودان الحديـث. ولـم يخلـف مـن ورائـه إرثـا هائـلاً مـن الأدبيـات المكتوبـة في الذاكـرة الوطنيـة والغربيـة وحسـب.. بـل خلـف مـن ورائـه دولـة وطنيـة متكاملـة الأركان. ومهمـا اختلـف المختلفـون حـول تفاصيلهـا إلا أنـه لـن يسـعهم الإختـلاف عـلى كونهـا الدولـة الوحيـدة المسـتقلة في إفريقيـا القـرن التاسـع عـشر. وهـي ذات الدولة السـودانية التـي ظلـت تقـاوم الاسـتعمار البريطانـي بشراسـة حتـى نقطـة النهايـة معركة كـرري.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – الســودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

في عالم اليوم المتغير بسرعة، تبرز أهمية نماذج القيادة التي تعي وتركز على التغيير الجذري والتحول البنّاء، القيادة التغييرية تمثل إطارًا فكريًا حديثًا يسلط الضوء على كيفية إحداث تأثير عميق ومستدام في الأفراد والمؤسسات والمجتمعات. عند الحديث عن تاريخ السودان، لا يمكن تجاوز سيرة الإمام المهدي، ليس فقط كشخصية دينية مؤثرة، بل كقائد (تغييري) قاد تحولًا كبيرًا في وعي المجتمع السوداني في أواخر القرن التاسع عشر. دراسة سيرته تتيح لنا فهم كيف نشأت المهدية كحركة مقاومة دينية وسياسية ضد الاستعمار، وكيف أصبحت دولة تواجه تحديات الحكم، التنوع، والتغيير. ومن خلال هذا الفهم، يمكننا قراءة ملامح الهوية السودانية الحديثة بشكل أعمق. كما أن سيرة الإمام محمد أحمد المهدي (1844–1885) تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم واحدة من أكثر الحقب تحوّلًا وتأثيرًا في تاريخ السودان الحديث، وهي حقبة الدولة المهدية (1885–1898) ، إن دراسة سيرة الإمام المهدي ليست مجرد استرجاع لحياة شخصية دينية أو سياسية بارزة، بل هي نافذة لفهم ديناميات التغيير الاجتماعي والديني والسياسي في السودان في أواخر القرن التاسع عشر.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation